التحولات الدولية والقوميات الدينية

عمر تاشبينار*

ثقافة إيران الاستراتيجية: الموازنة بين القومي والإسلامي**

ينطوي البعد الجوهري الأكثر أهمية في النزاع المذهبي السنّي ـ الشيعي في الشرق الأوسط على تناقض جذوره موغلة في العمق بين القومية الفارسية والقومية العربية. ويتعدى التنافس السنّي ـ الشيعي الذي تشهده المنطقة في الوقت الراهن مسألة الخلاف الفقهي بشأن تفسير الإسلام أو الخلاف بين رجال الدين بشأن خلافة الرسول، إلى السعي في المقام الأول لحيازة القوة والنفوذ الجيو ـ استراتيجي. وليس مفاجئاً أن إيران والمملكة العربية السعودية هما القطبان الأهم في هذا التنافس المذهبي على المستوى الإقليمي، كما أن النزاعات السياسية والعسكرية في العراق وسورية واليمن والبحرين ولبنان تكتسي جميعها بعداً حاسماً يتبدى من خلال حروب بالوكالة تخوضها إيران والسعودية.

إن السبب وراء أهمية أن ندرك دور الدولة الفاعلة، والمنافسة الجيو ـ استراتيجية، والفارسية في مقابل القومية العربية في الخلاف المذهبي الراهن في الشرق الأوسط، يكمن في توكيد دور الثقافة الاستراتيجية والنزعة القومية خلف ما يظهر في أغلب الأحيان على شكل نزاع ديني. وبهذا المعنى، فإن الحجة المركزية لهذه المقالة تقوم على أن القومية تحوز الأسبقية مع تركيز خاص على صناعة الدولة في إيران. ونظراً إلى أسبقية القومية، يصبح من المهم أن نتقصى دور النزعة القومية الإيرانية والعنصر الفارسي في أسلوب الحكم خلف واجهة الجمهورية الإسلامية في إيران، ومن خلال القيام بذلك، نجد أن الجمهورية الإسلامية تحتفظ على مستوى الدولة بتقاليد ثقافة استراتيجية تستقي جذورها من الإمبراطورية الفارسية، فضلاً عن ثقافة استراتيجية. ويمكن لتقاليد الحكم هذه أن تقوم وبسهولة بتسييس خطابها الإسلامي وتقاليدها الشيعية وتوظفها في خدمة المصالح القومية والاستراتيجية، وفي إطار هذا الجهد الاستراتيجي

---

* مدير مشروع تركيا في معهد بروكينجز، وأستاذ استراتيجيات الأمن القومي في كلية "الحرب الوطنية" الأميركية، وأستاذ مساعد في دائرة الدراسات الأوروبية في جامعة جون هوبكينز.

** مقالة خاصة بالمجلة بعنوان:

Iranian Strategic Culture: Islam versus Persian Nationalism

ترجمة: صفاء كنج.

يكتسي الإرث الحضاري للإمبراطورية الفارسية أهمية خاصة.

علينا أن نضع في اعتبارنا على الدوام أن ثورة ١٩٧٩ الإسلامية حدثت في بلد عرف ٢٥٠٠ عام من التقاليد الإمبراطورية في ظل نظام ملكي، وهذه التقاليد الإمبراطورية ترسي جذورها في الأعراف الاجتماعية والدينية الإيرانية القديمة. وليس مفاجئاً، ولأسباب بديهية، ألاّ يكون سهلاً تعظيم هذا الإرث الإمبراطوري ما قبل الإسلامي في الجمهورية الإسلامية، ذلك بأن التقاليد الفارسية الإمبراطورية بجذورها ما قبل الإسلامية تناقض في الواقع الخطاب السياسي والحضاري للثورة الإسلامية. وبينما لم يكن لدى شاه إيران والسلالات الإمبراطورية التي حكمت البلد في القرن التاسع عشر أي مشكلة في الاستعانة برموز العظمة والمجد الفارسية، فإنه لا يمكن قول الشيء نفسه عن النظام الإسلامي.

للوهلة الأولى تبدو المشكلة في أن الأيديولوجيتين القومية والدينية في إيران تعلنان أنهما تنتسبان إلى تراثين مختلفين. فالتيار القومي الإيراني ينسب تراثه إلى أقدم ملوك الفرس، بينما يفتخر القوميون الإيرانيون بالحضارة ما قبل الإسلامية التي عرفتها إيران ويرفضون النظام الإسلامي، وليس بالضرورة الإسلام. فهم لديهم شعور قوي بأن الإيرانيين تعرضوا للمذلة نتيجة الفتح العربي الإسلامي لإيران، والذي أدى إلى انهيار الإمبراطورية الإيرانية الساسانية في القرن السابع الميلادي. وتظهر مشاعر العداء الحادة للعرب بصورة خاصة لدى فصيل من القوميين المتطرفين.

على الجانب الآخر، يرفض رجال الدين المحافظون والنخبة من الفقهاء الذين يهيمنون على المؤسسة الحاكمة في إيران اليوم المشاعر المعادية للعرب لأسباب فكرية وسياسية. فهم يشعرون بقلق كبير إزاء المشاعر المعادية للعرب لأن الرسول محمد كان عربياً، والقرآن عربي، والأئمة الشيعة من ذوي أصول عربية. وبالمثل، تستمد المؤسسة الدينية سلطتها وشرعيتها من الرسول محمد من خلال عدد من الأئمة الذين ينتسبون إلى أقاليم وسلالات قومية غير فارسية، وقد سعى الزعيم الراحل آية الله الخميني لحل هذه الثنائية في إيران من خلال المناداة بأفضلية الإسلام، فالشريعة الإسلامية قادرة على تقديم حلول لنواحي الحياة كلها، وبالتالي يجب أن يتولى الحكم في إيران نظام لا يفصل بين السياسة والدين، أو بين التقاليد وأساليب العيش الإسلامية والقومية، خلافاً لما فعل الحكم الملكي في ظل الشاه، وهكذا تأسست "ولاية الفقيه"، وهي إدارة يتولاها فقهاء شيعة وتشرف على سير نظام الحكم في إيران.

وعلى غرار العديد من المسلمين الورعين الآخرين، اعتبر آية الله الخميني، مؤسس الجمهورية الإسلامية، مفهوم القومية مفهوماً غير إسلامي، وكان يرى أن النزعة القومية تتعارض مع مفهوم الأمة (المجتمع الإسلامي العالمي) الذي يرفض من حيث الأساس الحدود التي تفصل ما بين المجتمعات المسلمة، وأكد أن "القومية خطط لها المتآمرون والقوى الخارجية لبثّ الفتنة بين المسلمين، ويقوم بنشرها عملاء الاستكبار." ولاحظ آية الله الخميني كذلك أن "خطة القوى العظمى وعملائها في البلاد المسلمة تقوم على الفصل والتفريق بين مختلف طبقات المسلمين الذين جعلهم الله، تبارك وتعالى، إخوة.... أولئك الذين باسم القومية والفئوية وغيرهما يبثّون الشقاق والفرقة بين المسلمين، هم جيوش الشيطان، وهم يخالفون القرآن الكريم ويساعدون عملاء قوى الاستكبار."[١٧] فضلاً عن ذلك، نظر المحافظون إلى النزعة القومية ـ وهي في الأساس حركة علمانية تدعو إلى فصل الدين عن الدولة ـ بصفتها تهديداً خطراً للأساس الذي تقوم عليه أيديولوجيا الدولة، والمستند إلى حكومة "ولاية الفقيه".

مع ذلك، وخلف هذه الواجهة التي تقوم على إعطاء الأفضلية للإسلام وتحكيم الفقهاء، ظلت إيران

تشهد قدراً من الازدواجية حتى بعد الثورة، وغالباً ما سارت النخبة الدينية على خيط رفيع لإيجاد توازن ما بين الحفاظ على العزة القومية وصيانة أسس الحكم الإسلامي. وتقدم طريقة تعامل الجمهورية الإسلامية مع الوجه المعماري للإرث الفارسي مثالاً واضحاً لهذه الازدواجية، وهذا الإرث يظهر طبعاً بصورة واضحة في بقايا برسبوليس [تخت جمشيد] ومدينة الملك داريوس العظيم التي بُنيت في القرن السادس قبل الميلاد. ففي سنة ٢٠٠٢، في عهد الرئيس محمد خاتمي، اجتمع أعضاء في مجلس الشورى الإيراني مع مثقفين لمطالبة الحكومة بصيانة آثار برسبوليس ومواقع أُخرى تعود إلى ما قبل الإسلام.

وفعلاً، تم وبنجاح تحويل مواقع ذات قيمة أثرية إلى رموز قومية، حتى إن حرّاس الثورة الإسلامية استوعبوا المد القومي المتنامي المتصل بالمواقع الأثرية الثقافية العائدة إلى حقبة ما قبل الإسلام. وبالمثل، خاض الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد مفاوضات مكثفة لتستعيد إيران أسطوانة قورش العائدة إلى القرن السادس قبل الميلاد والتي تعدد فضائل الملك قورش الكبير، ونظّم عرضاً متقناً تضمّن مشاهد عن أحداث متصلة بحياة قورش لدى إزاحة الستار عن القطعة الأثرية في طهران في نهاية أيلول/سبتمبر ٢٠١٠ في احتفال يشبه إلى حد بعيد الاحتفالات التي أقامها شاه إيران في برسبوليس في سنة ١٩٧١. وذهب أحمدي نجاد إلى حد القول إن الأسطوانة التي تتضمن شرعة قورش هي المعيار الذي "يجب على أساسه الحكم على القادة كلهم." وتُرجمت نسخ من شرعة قورش إلى الفارسية ووُزعت حتى على أعضاء ميليشيا الباسيج مع نسخ من المصحف. إن تنظيم مثل هذه الاحتفالات التي تمجد تاريخ إيران الإمبراطوري الفارسي في عهد رئيس مثل أحمدي نجاد الذي كثيراً ما وُصف بأنه إسلامي متشدد لهو مثال لعدم وجود خط واضح يفصل ما بين الإرث الفارسي والتقاليد الإسلامية في إيران المعاصرة.

مع ذلك، من المهم أيضاً الإشارة إلى أن هذا التعايش ليس متناغماً على الدوام، ففي سنة ٢٠١١، على سبيل المثال، بدأ علماء الدين المتزمتون يستنكرون الاحتفال بعيد النوروز باعتباره تقليداً غير إسلامي من بقايا الديانة الزرداشتية. واتخذ المرشد الروحي الحالي لإيران آية الله علي خامنئي موقفاً رسمياً متشدداً ضد المهرجان، ودان القفز فوق النار بصفته "ضرراً وفساداً" و"مخالفاً لأحكام الشريعة." وعلى الرغم من تهديدات النظام، عن طريق التخويف والاعتقالات التي يقوم بها الباسيج، فإن عدداً كبيراً من الإيرانيين لا يزال إلى اليوم يحتفل بعيد النوروز، مفضلاً التمسك بعاداته الفارسية على إطاعة القادة المسلمين.

التقاليد الفارسية والإسلامية: علاقة تعايش

ليس غريباً أن يشعر بعض رجال الدين بأن التقاليد الفارسية تشكل تهديداً للهوية الشيعية، لأنه عندما حولت السلالة الصفوية إيران من أمة سنّية إلى أمة شيعية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، استُقدم رجال دين من لبنان ومن جنوب العراق والبحرين وغيرها من بلاد الخليج وحتى من كشمير، وانتقل هؤلاء للعيش في إيران وأنشأوا فيها مدارس فقهية شيعية. فعلى سبيل المثال، إن أصول قائد الثورة الإيرانية الإمام الخميني تعود إلى كشمير. وهذه المسألة اللافتة للانتباه لا تتعارض مع واقع أن معظم أعضاء السلطة التنفيذية وأنصارهم ممّن هم ليسوا من رجال الدين، لديهم جذور أعمق في المجتمعات المحلية مثل أغلبية الإيرانيين.

في ظل مثل هذه الظروف، تكتسي المساعي التي يبذلها المرشد الأعلى خامنئي، وهو نفسه ذو

أصول آذرية ـ تركية، من أجل جسر الهوة ما بين القومية والدين، دلالة مهمة، ربما لأنه يدرك تماماً أن ولاء أغلبية الإيرانيين لانتمائهم القومي هو أقوى من ارتباطهم الديني. ففي سنة ٢٠١١، وفي كلمة أمام القادة الدينيين والسياسيين والاجتماعيين والمفكرين خلال اجتماع عُقد في طهران من أجل "مناقشة النموذج الإسلامي ـ الإيراني" بصورة خاصة، تطرق المرشد الأعلى إلى "الفكر والعلم والحياة والروحانيات" بصفتها عوامل مهمة من أجل تحقيق التقدم، وقال متقرباً من سائر القوميين إن "استخدام المفهومَين 'الإسلامي' و'الإيراني' لا يعني على الإطلاق إنكار الإنجازات والتجارب المستحقة لأي منهما."[٢]

على الرغم من استخدام الجمهورية الإسلامية الخطاب الإسلامي الجامع في ادعائها أحقيتها بقيادة العالم الإسلامي، فإن خامنئي يدرك تماماً مدى قوة الشعور الوطني الإيراني. وكان آية الله الخميني، المرشد الروحي السابق للثورة الإيرانية، هو الذي وصف اتفاقية ١٩٦٤ بشأن وضع القوى العسكرية مع الولايات المتحدة الأميركية ـ التي منح بموجبها الشاه العسكريين الأميركيين الموجودين في إيران حصانة قضائية ـ "استسلاماً"، واستخدمها لوصف شاه إيران بأنه "دمية" في يد الأميركيين. لقد رأى الإيرانيون في هذه الاتفاقية إذلالاً وطنياً، الأمر الذي مكّن آية الله الخميني من استغلال قوة المشاعر الوطنية الإيرانية ضد الشاه ومهّد الطريق لعزله. وللمفارقة، كان الشاه يُعتبر شخصية عامة قوية بصفته مدافعاً عن القومية الفارسية.

في بلد منقسم ما بين المحافظين والإصلاحيين، تستميل المشاعر الوطنية في الغالب شرائح واسعة من السكان غير المنتمين سياسياً، الأمر الذي يُظهر مدى جاذبية الشعبوية القومية. ففي النهاية، تشعر شريحة واسعة من الإيرانيين بعدم الارتياح إزاء طبقة رجال الدين النخبوية المترفعة، وتجاه القيود الاجتماعية التي يفرضها الحكم الثيوقراطي. ونظراً إلى هذه الديناميات كلها، فإنه لافت للنظر أن قلة فقط لاحظت مدى أهمية التحولات التي تشهدها الجمهورية الإسلامية. وطبعاً، لم تكن النزعة القومية في إيران يوماً على مسافة أعمق كثيراً من السطح السياسي، وإن كان هناك توجه في إبان قيام الثورة الإسلامية إلى مواراتها ما بين طبقات السردية الإسلامية. وبينما تناول كثيرون العلاقة ما بين الدين والقومية، وبالتحديد أهمية التشيّع بالنسبة إلى تطوير هوية إيرانية خاصة، فإن العملية التي تم بموجبها إسباغ طابع قومي على الدين على امتداد الأعوام الثلاثين الماضية، لم تعطَ أهمية، بحيث إنه يمكن اليوم أكثر من أي وقت مضى الحديث عن "مذهب شيعي إيراني".

لم يرفض منظّرو الجمهورية الإسلامية الفكر القومي، وإنما سعوا بدلاً من ذلك، لتعريف القومية بطريقة تجعلها تضطلع بدور ثانوي وتابع للخطاب الديني المهيمن، لكن تبيّن أن الأمر صعب. فمع اندلاع الحرب الإيرانية ـ العراقية في سنة ١٩٨٠، بات واضحاً أنه لا يمكن تعبئة الناس من منطلق ديني فقط، ذلك بأنه في مواجهة النظام العراقي الذي كان من مصلحته تماماً إضفاء صبغة قومية على النزاع بدلاً من استخدام مصطلحات علمانية، فإنه بات لزاماً على الجمهورية الإسلامية التأقلم مع الوضع وهو ما فعلته سريعاً، وهكذا أضحى "الوطن" مقدساً.

إن تأثير أعوام الحرب الثمانية، إلى جانب انتشار التعليم على نطاق واسع، وظهور وسائل إعلام حقيقية، وبالتالي تنامي الوعي السياسي، شجعت كلها على حوار شعبي متّقد بشأن طبيعة الهوية الوطنية، ومعنى أن تكون إيرانياً. فخلال تسعينيات القرن الماضي حتى الوقت الراهن، حدث توليف متدرج بين مختلف الروايات المتعلقة بالتاريخ الإيراني ـ بالاستفادة من تطور علم التاريخ المعاصر، وإعادة الاعتبار إلى الميثولوجيا التقليدية المتعلقة بالأصول كما هي محفوظة في ملحمة "شاهنامه" الوطنية ("كتاب الملوك").

وجرى تعزيز هذه الرؤية إلى مكانة إيران في العالم بفضل الحقيقة الظاهرة لتنامي نفوذ إيران في المنطقة في أعقاب الاجتياح الأميركي للعراق، وبهذا المعنى اكتسب صعود ما يسمى الهلال الشيعي في المنطقة بعداً جيو ـ استراتيجياً حقيقياً خلال العقد الأخير. وهذا المشروع القومي الإيراني المتجدد ماضٍ قدماً ولا يزال إنجازه بعيد المنال، فكما شهدنا خلال رئاسة محمود أحمدي نجاد وحتى قبل ذلك، فإن هذه الازدواجية "القومية الدينية" تشكل بالنسبة إلى إيران جزءاً من سياسات الحكم والاستراتيجيا الإقليمية. واعتباراً من سنة ٢٠٠٥ حتى اليوم، تبنّى معظم رجال الدين والقادة السياسيين الإيرانيين هذا الخطاب القومي الديني الذي يعزز الهوية الإيرانية الإسلامية بصفته خطاباً جديداً. وفي سنة ٢٠١٠، أخذ المناضل المتحمس أحمدي نجاد يركز على الموضوعات القومية الإيرانية سعياً لبناء تيار سياسي جديد بين أولئك الذين يعرّفون عن أنفسهم بناء على توجههم الديني، أكانوا من الإصلاحيين أو المحافظين.

تبنّى مدير مكتب أحمدي نجاد، إصفنديار رحيم مشائي، الذي كان يُعتبر أيضاً المستشار السياسي للرئيس الإيراني السابق، طرحاً أثار كثيراً من اللغط والجدل. ففي خطاب ألقاه في سنة ٢٠١٠، قال رحيم مشائي: "هناك تفسيرات مختلفة للإسلام، لكن فهمنا لطبيعة إيران الحقيقية وللإسلام يمثل المدرسة الإيرانية. علينا من الآن فصاعداً أن نشرح للعالم مدرسة إيران." وذهب إلى القول إن "الإسلام سيضيع من دون إيران"، مضيفاً: "إذا أردنا أن نشرح للعالم حقيقة الإسلام، علينا أن نرفع راية إيران عالياً."[٣] وتعرّض مشائي لهجوم المحافظين من كل مشرب، لكن أحمدي نجاد دافع عنه ولام منتقديه لأنهم لم يفهموا عمق أفكار مشائي ومواقفه. وبعد انتهاء رئاسة أحمدي نجاد في سنة ٢٠١٣، لم يجرِ ترويج الأفكار القومية الدينية بهذه الدرجة من الوضوح، وإن كانت الدلائل لا تزال قائمة على أن الخطاب القومي أبعد من أن يكون قد زال وانقضى.

هناك في الواقع مزيد من الأدلة على تنامي تأثير الهوية الفارسية في إيران مع توجه أعداد متزايدة من الإيرانيين إلى زيارة قبر قورش في باسارغاد، في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر، وهو اليوم المقرر عالمياً للاحتفال بقورش الكبير. ففي تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٦، شهدت المنطقة القريبة من باسارغاد ازدحاماً في السير لم يسبق له مثيل مع توجه آلاف الإيرانيين إلى القبر، وقد انضم الرئيس حسن روحاني أيضاً إلى الاحتفالات عبر إنستاغرام فنشر صورة له في برسبوليس المجاورة عاصمة الأخمينيين وكتب معلقاً أن "برسبوليس هي بين الآثار القديمة الفريدة التي لا تُقدّر بثمن في هذه الأرض، الأمر الذي يبرهن مدى عراقة الحضارة وروح الابتكار والحكمة ومهارات الإدارة لدى شعب إيران العظيم، وكذلك توحيده بالله."

السياسة الخارجية والقومية

يظهر أن اعتزاز الإيرانيين بأصولهم الفارسية يمثل دافعاً إلى مواصلة قدرات التخصيب النووي، إن لم يكن حيازة السلاح النووي ذاته، ذلك بأن حيازة السلاح النووي ستضمن لإيران مكانة لا يحظى بها سوى عدد قليل من الأمم، وسترفعها على الفور إلى "نادي الكبار" المهيمنين على السياسة العالمية، الأمر الذي من الأرجح أن يرغم دولاً أُخرى على إيلاء تطلعات إيران وأمانيها اهتماماً أكبر. وهنا يبدو أن كثيرين من الإيرانيين يتطلعون إلى الهند بصفتها أحدث مثال في هذا المجال، فتطوير الهند السلاح النووي وقبولها في المجتمع الدولي كانا عنصراً حاسماً في ارتقائها إلى مصاف الدول العظمى في العالم، لتصبح قوة يُفترض أن يُحسب لمواقفها حساب في أي مسألة ذات أهمية. وإذا

كانت هذه هي المكانة التي يصبو إليها عدد كبير من الإيرانيين، فإن مجاراة الهند في المجال النووي تبدو ضرورة غنية عن البيان بالنسبة إلى إيران.

إن التطلع إلى المجد والهيبة في سياق قومي أمر بديهي بالنسبة إلى إيران نظراً إلى ما ذاقت من المذلة على مدى تاريخها الطويل في مواجهة الغرب. ففي الفترة التي سبقت توقيع الاتفاق النووي الأخير بين إيران والغرب، كان هناك ضرورة قومية لإبرام صفقة مع الغرب تحفظ، بل حتى تعترف بمطالب إيران المشروعة، ويُعدّ هذا الاتفاق من منظور التوجه القومي، أول مفاوضات تجريها إيران على امتداد ٢٠٠ عام تقريباً، من دون أن تخسر ماء الوجه مع الدول العظمى بشأن مسألة خلافية رئيسية.

تكتسي هذه النقطة أهمية لأنه، ومنذ سنة ١٨١٣ وما بعدها، كان تعامل إيران مع القوى العالمية وإلى حد كبير محفوفاً بالهزائم المتواصلة. فمعاهدة تركمانشاي في سنة ١٨٢٨ كانت بين أكبر المعاهدات المُذلّة لإيران في التاريخ الحديث؛ فبموجب هذه الاتفاقية، تنازلت الإمبراطورية الفارسية لروسيا عن قسم كبير من أراضيها في القوقاز وآسيا الوسطى. وكثيراً ما شبّهت خطب سياسية وتقارير إعلامية في إيران الجولات السابقة للمفاوضات النووية منذ سنة ٢٠٠٣ بمعاهدة تركمانشاي، والقصد من ذلك أن ما ستتنازل عنه إيران خلال هذه المفاوضات ستفقده إلى الأبد، وأن أي اتفاق نووي سيبقى وصمة عار على جبين كل مَن يوقّعه.

ولهذا صمم النظام الإسلامي على ألاّ يرضخ مجدداً للمطالب الغربية ويخسر حقه في تخصيب اليورانيوم، فلا يعود في وسعه بتاتاً المطالبة به، ولهذا السبب أيضاً أصرت إيران على الحفاظ على حقها وقدرتها على تخصيب اليورانيوم. وكان حاسماً بالنسبة إليها تحديد مهلة زمنية لأي قيود تُفرض على إيران لأنه ما إن تنتهي مدة الاتفاق، فإن برنامج إيران النووي لن يحظى بمعاملة تختلف في شيء عن التعامل مع برامج اليابان والسويد.

وهكذا أصبحت العزة القومية أداة استعان بها خامنئي لتسويق الاتفاق النووي لدى الشعب الإيراني وإسكات أي أصوات معارضة محتملة. والمنطق في ذلك أنه، وبعد عقود من المواجهة، نجحت إيران حيث فشلت سائر بلاد الشرق الأوسط: لقد أرغمت الدول العظمى على الجلوس معها حول طاولة المفاوضات حيث تم تأكيد واحترام حقوقها واستقلالها وكرامتها، ومن منظور خامنئي فإنه في حال التوصل إلى "اتفاق جيد" تكون إيران قد أرغمت الجانب الآخر على التنازل (فيما يتعلق بالتخصيب، على سبيل المثال) بدلاً من الإذعان لمشيئة الغرب.

ويظهر المنطق نفسه في الموازنة بين الخطاب القومي والخطاب الإسلامي في سياسة إيران إزاء إسرائيل، إذ تشدد طهران غالباً على تطلعات إيران في قيادة العالم الإسلامي للتصرف نيابة عن مسلمي العالم أجمع، وهذا الخط الإسلامي الجامع يتطلب منطقياً الحد من، وليس تشجيع، الانقسام بين السنّة والشيعة. وفي هذا السياق تحديداً يمكن النظر إلى الخطاب القائم على الدفاع عن المصالح "الإسلامية" الأوسع من خلال التصدي لإسرائيل. هذه الاستراتيجيا المعادية للصهيونية هي طريقة ذكية للتقليل من مخاوف السنّة بشأن صعود إيران. لقد وظّف جميع القادة الإيرانيين أموالهم من أجل دعم خطابهم السياسي، وذلك من خلال تزويد حزب الله بصواريخ متوسطة المدى لإطلاقها على إسرائيل، وبذلك يلتقي الخطاب القومي المعتمد في الداخل مع السياسات ذات البعد الإسلامي الجامع.

ختاماً، ونظراً إلى العوامل المؤثرة في السياسة الداخلية والخارجية حيث نرى تقارباً وتعايشاً بين التوجه القومي والخطاب الإسلامي، فإن ما من سبب يجعلنا نتوقع ظهور ثقافة استراتيجية جديدة تماماً في إيران. عوضاً عن ذلك، فإن ما هو مرجح أن يُكتب له البقاء هو منظومة الحكم

التقليدي الإيراني ذات الجذور الإمبراطورية الراسخة، وحيث كان تسييس التشيّع أو الدين جزءاً من تقاليد الحكم العائدة إلى الفترة الإمبراطورية. ■

المصادر

١ **Kamran Scot Aghaie and Afshin Marashi, eds., *Rethinking Iranian Nationalism and Modernity* (Texas: University of Texas Press, 2014), pp. 17-18.**

٢ **Ibid.**

٣ **Ibid., p. 56.**

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

(القضية الفلسطينية / آفاق المستقبل ـ ٩)

النكبة الفلسطينية في الحيز العام الإسرائيلي

جذور الإنكار وذرائع المسؤولية

أمل جمال و سماح بصّول

١٦٣ صفحة ٨ دولارات